Obsession of love and its associations In the poems (Nafhat Al-Khaleej) by Abdullah Sinan Mohammed

Asst. Lecturer. Mariam Abdulnabi Abdulmajeed
The University of Basrah
Basrah and Arabian Gulf Studies Center
Email: rakotaje@yahoo.com

Abstract:

The poems of (Nafhat Al-Khaleej) by Abdullah Sinan Mohammed, exposed the effect of beloved woman in the heart of the loving man. So the statement was made about the self concerns by revealing love openly with paths of openness of his emotions towards her and its depth ranges include emotional passion and loathing. Also, it included the text in the description of the beloved vocabulary for features that marked the vision of Ego for women's beauty. And the feelings that open it inside the man through themes refer to the same characteristics of women while blaming was mentioned in the texts of his poems which referral to positions to be declared with images light up dissociation the relationship with women and scattered. He adopted the saying about moments of happiness by evoking memories in the context of transmitting confirmation that deeply embedded in the conscience of the poet self.

Key words: obsession with love, Nafhat Al-Khaleej, experience.

هاجس الحب وتداعياته في ديوان (نفحات الخليج) لعبدالله سنان محمد

م.م. مريم عبدالنبي عبدالمجيد
جامعة البصرة
مركز دراسات البصرة والخليج العربي
Email: rakotaje@yahoo.com

المستخلص:

تبنى القول بالحب في ديوان (نفحات الخليج) لعبدالله سنان محمد الكشف عن تأثير المرأة الحبيبة في قلب الرجل المحب، فتبدى التصريح عن هواجس الذات عبر البوح بالحب جهرا بمسارات انفتاح عواطفه نحوها وعمق مدياته المنطوية على جموح العاطفة وانفلاتها، كما يضم النص في توصيف الحبيبة مفردات لملامح تؤشر رؤيا الأنا لجمال المرأة وما يفتحه في داخل الرجل من مشاعر، عبر ثيمات تحيل إلى القول بذات المرأة وما تمتلكه من صفات مميزة، بينما ورد العتاب في نصوص الديوان بالإحالة على مواقف يلتزم التصريح بها مع صور تضئ معطيات تفكك العلاقة مع المرأة وتبعثرها.

وتبنى القول بلحظات السعادة عبر استحضار الذكريات في سياق يحيل على التأكيد بعمق رسوخها في وجدان الذات الشاعرة التي التزمت إسقاطها نصيا عبر فضاء الشعر الواسع، الذي التزم بيانها بوصفها قيمة عليا لدى الأنا.

الكلمات المفتاحية: هاجس الحب، نفحات الخليج، تجربة

مقدمة:

يرشّح القول بالحب في ديوان (نفحات الخليج) لعبدالله سنان محمد هواجس الحب وتداعياته حينما يضع في فضاءات النص أبعاد تجربة الأنا في محيطها النفسي والمادي لتوصيف أحاسيسه تجاه المرأة الحبيبة، وقراءة هذا البعد من الموضوعة الشعرية في الديوان يحيل على كشف التأثير الذي تتركه المرأة في قلب الرجل باعتبار النص ملمحا مفتوحا على هواجس ذاته نحو الأُخرى لتوصيف ما يعتريها من مشاعر، ولعل الحب في ذاته عبر قراءته في الديوان يكشف رؤية الشاعر للمرأة الحبيبة بأُسلوب ذي طابع يتوشّح بالتعريف عن الحاجة الكبرى التي تشدّه إليها.

وتبدى البوح بالحب في المجموعة منفتحا مع القول بـ : الدعوة للحب، والملام، والعذاب والهجر. كما يشتمل الديوان في التعريف بالحبيبة عبر المقابلة بين توصيفها أو القول بما تتركه ملامحها المحببة من هواجس في ذات الشاعر.

أما البوح بالحب ذاته فقد أخذ في الديوان بعدا أكبر حينما تلاحم القول به مع مشاهد تعبر عن خطى الأنا المتتابعة نحو ذات المرأة، ويتبدى البوح في فضاءات نصوص الديوان مفتوحا في مساراته للتعريف برباط الحب الذي يضم مواقفاً أفرزها الديوان في رؤيا ترسم التجربة وتكشف ملامحها.

أما القول بالعتاب فقد أخذ في الديوان بعدا يكشف عن مرحلة مميزة لتجربة الحب المراد تصوير أبعادها، حينما اتجه النص عبر القول به إلى التعريف بدور المرأة وما يتركه هذا الدور عبر مشاهد تشف عن شدة الحاجة لها. أما القول بالذكريات فقد أخذ مساحة ملفتة في الديوان حينما ترسَّم التعبير عن لحظات الوصل بلغة ترشِّح استقصاء الشاعر للحظات تركت بصماتها في داخله، فدخلت في صلب النص لتشهد بسطوة هذه الذكريات وقيمتها في وجدانه.

قراءة الحب في ديوان (نفحات الخليج) ترشِّح القول بـ :

الحب ذاتـه:

عندما يتصدى الشاعر للقول بالحب يتبدى التعبير عن استقراره وعمقه في الذات مهيمنا، عبر إيراد مواقف منفتحة على الذاكرة، في مدى خاص لكشف مساراته في مضمار فضاء النص الموحي بذات الموضوعة، وهذا المنحى في التعبير تميز به النتاج الشعري الكويتي بعد اكتشاف النفط ، حينما بدأ شعراؤه ((يسرفون في التعبير عن عواطفهم إسرافا شديدا، ويرون الحياة والأحياء من خلال هذه العواطف الثائرة، التي أخذت لأسباب كثيرة تتمرد على تقاليدها القديمة وتسعى إلى القضاء عليها))[1]. فيتوجه النص في

(نفحات الخليج) للتعريف بالحب عبر القول به في قصيدة [ليلة حالمة] بالتزام إحالة ترمز إلى تتبع ما يفتحه هاجس الحب في النفس عبر القول:

أنا في الهوى متعصّبٌ لم أبد أيّ مساومه
كلا ولست من الذ ين يغيّرون علائمه
أنا من إذا خارت قوى العشاق شدّ عزائمه[٢]

ولعل الدعوة للحب عبر قصيدة [كترين] جاءت متّسمة بمشاهد تحيل إلى حوار الذات المفتوح على هواجسه، للبوح عما ينتاب الداخل تجاه ذات الهواجس ويبرز شدة تأثيرها، ولعل الإشارة الضمنية التي نلمحها في الدعوة للحب تتشكل في مهيمنة أخذت طرقها في أبعاد نصوص الديوان المحيلة إلى التعريف بهاجس الحب ذاته وتداعياته، يقول:

هيا لنخلو ساعة بين الورود الناعسه
هيا لنحيي بعد هذا البعد ذكرى دارسه
هيا لنستمع الجداول في الحديقة هامسه[٣]

أما القول بالملام فقد جاء إعلاء نصيا يكشف تحسسات الداخل المنطوية على أبعاد ترشِّح علامات تستحضر في النص القول بالآخرين، حينما يترجم الأنا وعي الداخل ببروز ذات الهاجس وتداخلاته، ولعل القول بهذا المسار عبر قصيدة (كفّ الملام) جاء افتتاحية تشيد بدور خاص يتبدى صورة يكشف في مشاهدها مرايا تعكس الداخل الحزين عبر الملام المفتوح ضمنا على الآخر، يقول:

كفّ الملام فما في الحب تفنيد إني عن اللوم والتفنيد مصدود
لا أستطيع أرد القلب عن شجن كيف السبيل وباب الردّ مسدود
يلتذّ للحب قلبي وهو يتلفه ويشتهي الدمع طرفي وهو مرمود[٤]

ولعل القول بالعذاب عبر مفردتي: الأسرار، والتلف، رسالة لتوصيف تجليات العلاقة والحاجة الكبرى التي تستوطن هواجسها، فيتبدى العذاب علامة كاشفة عن الهمّ المنطوي على الخوف الكامن في الداخل من فقدان المرأة التي تشكل لدى الأنا قيمة عليا، فيقول:

قال الصحاب وهم حولي وما علموا أن الهوى فـــي فؤادي زنده وار
ماذا جرى قلت كفّوا أو خذوا بيدي لا تحملوني على إفشاء أسراري
فأرغموني على ما بي فقــلت لهم هذي التـــي تتهادى بين أقمار[٥]

والقول بالهجر في هذا المسار يأتي عبر قصيدة (عقاب الدلال) في مدى يضمّ في منحنياته توصيف هاجس الحب حينما يترك في الذات ندوبا نلاحظ ملامحها عبر القول بـ: فقدان قدرة الاحتمال، والإصرار على الهجر، فتتبدى عمق الحاجة للأُخرى، ورؤيا الأنا للعالم الخالي بدونها يقول:

عدمت من الخشف طيب الوصال وأفقــدني قــدرة الاحتـمال
أصرَّ على هجــره عامـــــــدا فأمسى التلاقي كضرب الخيال
فمـــا رقَّ يـــــوما لمعمـــوده ولـــم يرع حقا لماضي الليال[٦]

البـوح:

ورد البوح بالحب في مسارات ديوان (نفحات الخليج) بوصفه نافذة تطل على توصيف مواقف يضمها هاجس الحب عبر القول بجزيئات تحيل إلى تجربته مع المرأة، تشفّ في فضاء نصوص الموضوعة عن دواخله وماتكتظ به من عواطف تستقي من الحب فيوضاتها، فيتبلور التصريح بهاجسه أُنموذجا تتعرى الذات خلاله ليكشف مكمن الإحساس البكر حينما يتوقَّد ويأخذ من الروح انتقالة حية للترابط الخاص مع الحبيبة، يقول:

رحماكِ رحماكِ إن الحب أتلفني وها أمامكِ دمعي لم يزل جاري
جودي بربكِ ياذات الوشــاح لنا بلفتة الجيــد واطفي جذوة النار
بالله واتـــــرتي ظلما وقاتلتي عمدا أما لقتـيل الحب من ثار[٧]

ويتبدى الصراع عبر القول بانفتاح العاطفة القارّة في الداخل من خلال الإحالة إلى آفاق تطل على مساحات زمانية تتفتت فيها تجارب خاصة للذات.

ولعل البوح بالحب عبر النص الشعري المتحقق في الفعل الكتابي بوصفه دورا يريد الأنا عبره إعلاء تجربته والكشف عنها في آن، فيقول:

إني لأهواك بل أهوى رضاك ولا أهوى سواك فما أبهى محياكا
ألذّ شئ على الدنيا لقاك وهل شئ يلذّ لقلبي غير لقياكا[٨]

وقراءة الشاعر لهذا المنحنى والتركيز على تكراره بشكل ملفت في مبنى الحب من الموضوعة الشعرية يحيل إلى تمركزات خاصة للأخرى، تبدت في تأكيده على البوح بها لترسيخ الهاجس ذاته وتدعيم القول به، عبر الجهر بملامحه وكشف تعالقاته معها، يقول:

ياشقيق الغزال همت اشتياقا بك أي والجمال لا بشقيقك
قاتل الله نظـــرة هي أُولى نظرات نظرتـــــها لرشيقك
إنني مابقيت رقا لهذا الحسن فاعطف على شجّ من رقيقك[٩]

ويلتزم النص للبوح عن هاجس الحب القول بمفاهيم خاصة للأنا تشكلت في فضاء يعيد النص توصيفها عبر مرايا تعكس تعالق خاص للشاعر مع أحاسيسه في الحب، فأزمة الأنا عبر البوح تبدت ملامحها في الأوضاع التي يستثيرها النص في نسق يعيد القول برؤيا الأنا المنطوية على حاجة للأُخرى لا تحدها حدود.

ويشفّ البوح بالحب في الفعل الشعري عن ذائقة تستدعي مؤشرات تستثير الأنا وتحيل إلى طابع يؤطر هاجس الحب ويتمثل مقوماته، يقول:

أبحت له في الغرام دمي ومـــا لسواه دمي بالحلال
يتيه علــيّ بـــلا زلّـــة ويمشي أمامي مشي الغزال
فيرشقني بسهام الجفون ورشق الجفون كرشق النبال(١٠)

وفي معرض القول ببوح الأنا بسرّ العشق يبتعث النص إشارات تكشف ملامحه عبر أحلام الذات، حينما يتكرر القول بالبوح ليفسّر حركيّة الإحساس وانشداد الأنا إلى عالم المرأة الخاص، وفي أنساق الموضوعة الشعرية المحيلة إلى البوح بعواطف الأنا بالحب يكمن صوت الأنا الذي يضم في النص رؤيا خاصة تعكس ابتداء سرّه الذي يختزن عصارة هاجس الحب وزواياه، يقول:

ولقد كتمت الحب حتى فاض كأسي بالغرام
وأبان دمعي ما اختفى بين الضلوع من الهيام
إني كلفت بشـــادن كمنت لواحظه السهام(١١)

ويحمل الديوان عبر القول بالحب تمثل الذات لمواطن تفصح عن مبتدأ حالة هي إشارة تحيل إلى تجذّر خاص من المشاعر تكتنزه الذاكرة، ويتكثف الزمن المحيل إلى التعريف بالحب عبر نصوص البوح في (نفحات الخليج) بالاستعانة بثيمات تحيل إلى المتمنى من العلاقة، حينما يصوغ مشاهد تشف عن عالم حر يفترضه أخذ في بنى الديوان ملامح مميزة، يقول:

(كترين) بالله اسمعي نبرات قلبي الهاجسه
فـلأنتِ ياكتـــرين را عيـــة لقـــلبي حارسه
لم تبرح الفتـــيات في هـــذا الجمال منافسه
ضحكت لي الدنيا وكا نت قبل وصلكِ عابسه(١٢)

ويبدو التصريح عن هواجس الذات عبر البوح بالحب مقاربة تستدعي القول بالتعريف بمسارات انفتاح الهاجس وعمق مدياته، المترسمة هوية خاصة تعبر عن مشاعر منطوية على جموح العاطفة وانفلاتها، في الوقت الذي يعطي النص في ذات النهج تفسيرا للتداعيات المنسلة من هاجس الحب بوصف مواقف

تتموضع في فضاء النص عبر مدى زمن التجربة، ينفتح عن ذاكرة الأنا المليئة بمساحات يكمن بها هذا الهاجس وتتحرك طرقه، التي تضم في أبعادها موقف الأنا من المرأة الحبيبة وحدود عاطفته نحوها.

وصف الحبيبة:

يتبنى الديوان لتوصيف الحبيبة صورا ورد فيها القول بـ : الوجنة، والوجه، والشامة، والقوام، والصوت، والريق، والأرداف، والضفائر، والخدود، والابتسامة، والحديث، والجفون، والنعومة، والشفاه، والأعطاف، والثغر [١٣]، عبر مواضع ضمت التعريف بمشاهد تملكت الأنا زمن تجربة الحب، بالاعتماد على((التجسيد والتشخيص وتراسل مدركات الحواس، وعلى الرؤية الشمولية التي تلملم شتات الصورة الجزئية المتناثرة ليتشكل منها صورة كلية شمولية في النص))[١٤].

وتوجه النص للتعريف بالحبيبة ورد عبر التركيز على الصفات المحببة للمرأة التي وجدت في كيان الأنا منزلة خاصة تشفّ عن رغبة عالية لاحتواء الحبيبة عبر المتمنى، ومنها: التثني، الدلال، الغنج، الملاحة، التيه، الحسن، يقول:

فكم مـــال بعطفيه فما أحلـــى تثنيه
وما أحلى دلال الخشف ما أحلى تجنيه
وكم قال اسقني الكأس فبـــادرت لأسقيه
فما حاكاه ذو غنـــج مليــح الدلّ والتيه
وما في الكون لا والحب ذو حسن يضاهيه[١٥]

وفي هذا الاتجاه ترد في منحنيات الديوان ما تمتلكه الحبيبة من مكامن الجمال الذي يستفز الشاعر، ليقوم بتوصيفه برؤياه المحبة لذات الجمال ومايفتحه في داخله من مشاعر، عبر أُسلوبه الخاص في نظم الشعر، وما يختطه عبر هذا التوصيف من دوال تشفّ عن توق إلى ملامحها التي تجلت في مسارات نصوصه وصورها، ومنها ذكره لقوامها، وشامتها المستديرة، عندما يقول:

وأهيف كالغصن الرطيب قوامه إذا ما تثنَّى فهو ريَّان ناضر
على وجنتيه شـــامة مســـتديرة كباقة ورد نشرها الحلو عاطر[١٦]

وفي اتجاه التعريف بالحبيبة تتجلى في النص حاجة الذات لقربها بالتزامن مع احتفائه بصفاتها التي يستحضرها بدقة تشفّ عن رسوخها في جدران ذاكرته ووجدانه، يقول:

يا صليبا أحمرا في وجنة صاغه الله على وجـــــه الفتاة
لم تكـن بالعرف إلاّ شامة وبعرفي أنت من أسمى الصفات
لونك الوردي كم هامت به مهـــــج تهفو لأشهى القبلات[١٧]

وفي جانب التعريف بالأُخرى تتمظهر في مرايا النص هواجس خاصة للأنا، تتنضَّد في مسارات النصوص المحيلة إلى التعريف بها حينما يتبدى الحب سمة تعلو في الذاكرة وتأخذ طرقا مفتوحة إلى الملامح المحببة للمرأة، وما تتركه من آثار في ذاته.

وبروز القول بمواقف خاصة يتوقف في إفرازها النص عبر أنساق موضوعة التعريف بذات الحبيبة، يلتزم غرس قيم تتضمن في جدولتها الإحالة إلى قضايا تنفرد في نهج يختط مساراته من صوت الأنا، عبر إيديولوجية تترسَّم أبعادها في المنجز الشعري المعبر عن ذاتية الأنا كتابيا، يقول:

ظبي أثار بمهجتي شوقا وأفقدني جناني
ألقاه يبسم عن شنيب كابتسام الأُقحوان
وكأن وقع حديثه وقع المثالث والمثاني
خَجِل إذا كسر الجفو ن كأنَّ كسرا في المحاني
متغنّج بدلاله رخص المفاصل والبنان[١٨]

انفتاح النص لتصوير المرأة يستند إلى متركّزات تبدت في سياق يعبر عن هواجس الأنا التي تتعرَّض إلى تحرير مشاعر خاصة في طبيعة التجربة، التي ينص عليها الديوان عبر الثيمات المحيلة إلى توصيف ملامح خاصة للمرأة في المنظور الحلمي للأنا، ((فهو ينطلق من العالم ويعود إلى العالم باحثا عن بنائه وإعادة بنائه في مجال من الحسيّة، وتتمثل خصوصيته فيما ينسجه من علامات)) [١٩]، وهذه النظرة التي يتأكد في مساراتها القول بملامح المرأة تبدت صورة خاصة تعتمد الكشف عن مسميات أخذت في الداخل ملامحها، عبر تركيب خاص يعرب عن رغبة وكمون مزايا تتصعد في الخيال الشاعر وتعبيره عن المتمنى لحظة الفعل الشعري، يقول:

يا من مراشف ثغره أشهى من الكأس الشهيّه
خداك أطيب نفحة من باقة الورد النديّه[٢٠]

هذا الانطباع الذي يتأطر مداه في أُفق نصوص هذه الموضوعة يبدو من الأساليب التي تنتهج التعبير عن مواضع ناتجة عن كم كبير من حاجات مغلقة في داخل وجدانه، هي مسميات عبرت عن حرمان ظاهر للقرب المتواصل ترشّح في عناصر مذابة في أبعاد النص المتجرّد للتعريف بها، يقول:

هيفاء تُخجِل غصن البان قامتها وصوتها العذب حاكى نقر أوتار
وردية الوجنتين الخمر ريقتها هندية الجنس بنجابية الدار
تنساب من فوق ردفيها ضفيرتها كالأفعوان فتعلي فوقها الساري
مرّت بنا بين أتراب حدقن بها كالبدر في هالة حفّت بأنوار

تختال نشوى سقاها الحسن خمرته وللشـــــباب عليها حسن إيثار
تشتم للطيـــب في أردانها عبق وفي غدائـــرها كالمندل الذاري [٢١]

وهواجس الأنا المتبدية مع ذكره لملامح المرأة المحببة وتوصيفها وردت متلاحمة في ذروة انفلاتها في القصائد : ذات الصليب ، شدو الجآذر ، الهندية ، ورد الخدود ، فهل عادت كما كانت ، قد عيل صبري ، ليلة حالمة ، قف لي. فهذه القصائد أخذت مهمة التعريف بها عبر فضاءاتها لتبدو كشفا للذات وحاجاتها عبر تبني النص التدليل عن مشاعر الأنا في المشاهد المحيلة إلى توصيف الحبيبة ضمنا.

العتاب:

يبدو العتاب عبر القول بـ : الصدّ، الدلال، الحسنى، الغبن، الكرى، الضنى، العفو، المنية، كشفا يتلازم في فضاءات القصائد : رحماك، كفاك، فهل عادت كما كانت، قد عيل صبري، تقنع، طبع الملاح، ليلة حالمة، قف لي. حينما بدت جهرا لرؤيا تشكلت في مدى توصيف مواقف تستلهم التصريح بكمون تجربة تنث على الداخل ضوءا لمعطيات اهتزاز العلاقة مع المرأة وتبعثرها، فيتبدى القول بالعتاب في فضاءات الديوان بارزا حينما يساهم في موضوعة الحب بكشف هاجس الشعور الخاص للأنا، عبر سياق يشف عن المناخ المتوتر في علاقة الحب ويرسم مساراتها، يقول:

إذا مـــرَّ ذكـرك رتَّلـــته كما رتَّل الناسك المؤمن
أبدري قــف لي أبــثّك ما يكنّ فؤادي عسى تمعن
ومر مستهاما إذا ما أمـــر ته يالــذيذ اللمى يذعن
بخمر الثنايا العــذاب اتئد قليلا لأفضــيك ما أكمن
ويا متعة الصبّ ماذا جنيت أغثني بربـــك يا مفـتن[٢٢]

وفي هذا النهج يتحفز في القول بالعتاب لاستلهام ماينتاب الداخل في رحلته المثيرة مع العلاقة بالأُخرى، لصياغة إجراءات يتم في فضاءاتها العبور إلى مشاهد لقراءة يوميات بدت مقاربة نصية لأُنموذج العلاقة معها.

وفي هاجس الحب عبر العتاب يبدو الأنا في أزمته المنزاحة عن زمن يحتضن منافذ يتم الإحالة إلى التعريف بها في اتكاء النص على هوامش ترد في نصوصه الشعرية التي ترشح تداعيات الأزمة وتكشف متوالياتها، يقول:

كم تدّعي ظلمي لها في الحب وهي الظالمه
فأعـود أرجو عفوها عطــفاً فتـنفر ناقــمه

ما حيلتي وهي التي نسيت هـــواي وهائمه[٢٣]

وخطاب الذات المترشح عن عتاب الأنا تتجلى تداعياته في أنساق النص، المعبر عن حساسية ترد منحنياتها بالإحالة إلى مشاهد تصور انفلات العلاقة إلى مسارات تأخذ من الأنا زمانا لايستعاد، يقول:

كم ليلة بتنا على مشمولة تحت الدجى وتقول بالله اسقني
والموج يرقص حولنا متأثرا من نغمة الوتر الشجيّ وينحني
مـن كل هذا فجأة جرّدتني ونســـيت أيام لهوي ونسيتني
لاذنب لي إلاّ هواك حفظته يا ليتني ما ذقــت حبك ليتني
لكــنه طبع الملاح ولا غرا بة إن سفهت محبتي وهجرتني[٢٤]

وفي موضوع العتاب يتولى الفضاء الشعري الجهر عن تشكلات هواجسه في هذا المدى عبر نسق يختط توجهات المشاعر وتلازمها مع تجربة الأنا في زمن توتر العاطفة، ((فيصبح الشاعر ذلك الميت الحي، أو الحي الميت، الضائع بين الزمان والمكان)) [٢٥]، المتموضع في مدى مفتوح على تمركزات مشوبة بذات الهاجس وما يتبعه من متواليات، تتداخل طرقها وتفترق عبر نموذج يتحدد صداه عبر الفعل الشعري المكتنز لأزمته، يقول:

بالله لم ينس افتتاني وعلام يبخل بالتداني
قدمت روحي وهي أنفس ماملكت بلا امتنان[٢٦]

وترد عبر التعبير عن العتاب مضامين يكشف في أبعادها قيما يلتزم بها النص للتصريح بالهمّ الذي يتحمله الأنا، باختفاء ملامح تنعم بها الذات لعالم متمنى، وورود هذا المفهوم جاء عبر أنساق خاصة في (نفحات الخليج) بتصوير حركة الشعور المنبعثة من الإحساس الوجع، خلال نصوص ترسم هذا المدى وتؤكده، فيقول على سبيل المثال:

رحمــاك يا فاتر الأجفان رحماك بالمصطفى من بهذا الصدّ أغراك
أضنيت حالي بلا ذنب أتيت به وقــد أذبــت فؤادي وهو مثواك
روحي فداك أجبني من إليك سعى عني وقال بأني لست أهواكا [٢٧]

ولعل الصياغة النصية المحيلة إلى جانب الحب عبر القول بالعتاب هي تصريح ضمني بتأثرات حالة الحب بمواقف معينة أو هواجس معينة، تمنحها توجهات أُخرى تعكر صفو التواصل، فتكون لحظة العتاب توقا لاسترجاع الصفاء الروحي.

والمشاهد المصوَّرة للتدليل على تجربة الحب عبر القول بالعتاب تتمثل تكوينات مستشفة من زوايا تحملت في بنى مساراتها التدليل على نمو المشاعر وانفلاتها عبر منظور خاص يترسَّم خطى التجربة ومساراتها، يقول:

يمرّ العتب بالحسنى فننهي بيـــننا العتبا
وأسقيه الطلا صرفا ويسقيني اللمى عذبا[٢٨]

ونجد تمظهرات الشعور المتأصِّل مع لحظة يحتضنها مكان الغياب، يحيل إلى تصعيد الهاجس الباعث على القول بالفجوة بين الحبيبين، ((فالمكان المفتوح في الحضور يعمل على تكثيف المغلق في الغياب، مما يجعل هذا الأخير يشعّ من خلال علامات الحضور التي تؤسسها الفجوة)) (٢٩). ويجنح النص للتدليل على عمق الهمّ الذي يترجَّع عن انحسار العاطفة وتراجعها إلى أداء يتناغم مع قدر واف من تحددات يفرضها الوجع الكامن في داخل الوجدان، عندما تتزاحم وتترك آثارها عبر الفعل الذي يرشِّح التجربة في فضاءاته ويستخلص تمظهراتها نصيا.

وهذا الخزين من الأحاسيس في تجربة العتاب تجسِّد هاجس الأنا المتولِّد من تحركات العاطفة وميلانها إلى مفردات تأخذ زمن الألفة والحميمية مع الحبيبة.

الذكريات:

يتبدّى اتجاه النص حول القول بالذكريات في (نفحات الخليج) ملفتا حينما يستلهم الشاعر معطيات تدور حول توصيف مشاهد تستوحي مواقف خاصة للأنا. وفي هذا الاتجاه تبدو الذكريات في الفعل الشعري متضمنة تشكّلات يتعمَّق في مدياتها موروثا خاصا تبنته الذاكرة وأفرزته عبر الكتابة الشعرية لحظة الإبداع، يقول:

يا أثيل الشعب هل مرَّ الحبيب وتمشّـــَى فـــوق ذيَّاك الكثيب
وهـــل استوقفته يذكـــر ما فـــات من عهد لنا رغم الرقيب
يا زمان الوصـل يا عهد الهوى كم هصرنا فيك من غصن رطيب
وتعـاطينا على ذاك النقـــا قبلات تبـــــرئ القلب الكئيب[٣٠]

ويعتمد القول بالذكريات جدلية ترد في مساراتها رؤى منفتحة على زمان السعادة، التي وجدنا بروز القول بها عبر الذكريات بصورة خاصة في نصوص الديوان.

والقول بالذكريات زمن امتلاك الحب يرد بصورة تستعيد مشاعر الألفة المشوبة بهواجس تتمحور عن زمن خاص يتعاضد لترسيخ أبعادها ويرسم مساراته في بنى المكان المحتضن للذكرى، ((فوراء الأمكنة تكمن أزمنة معاشة لكل لقطة منها تجربة، وكل تجربة هي معايشة في المكان))[٣١]، فتصدي النص

للتعريف بالذكريات يأخذ نهج استبطان ملامح ترشح تضمينا لمشاهد تصور لحظات السعادة كما حفظتها الذاكرة وبقيت محفورة على جدرانها، يقول:

إذا ما تذكرت الليالي التي مضت بهنّ شربت الكأس ملآن صافيا
زمان علـــينا وارف الظلّ مسدل وأيـــام أنـــــس كنّ فيها خواليا
به كـــــم خلونا تحت أفنان بانة وشحـــرورها فوق الأماليد شاديا
تنادمني ذات الوشاح على الطلا فأحسو مـن الثغر النقيّ سلافيا[٣٢]

وتمحور القول بلحظات السعادة عبر الذكريات يرد في سياقات عبر البعد النصي تحيل إلى التأكيد على إسقاط هذه اللحظات عبر فضاء القول، الذي يلتزم في مسارات موضوعة الذكرى احتضان مرتكزات لها قيمة عليا لدى الذات الشاعرة، ((وكلما كان ارتباطها بالمكان أكثر تأكيدا كلما أصبحت أوضح، إن وضع الذاكرة في الزمن هو فعل كتاب السيرة وهي تتوافق مع نوع من التاريخ))[٣٣]، ويتبدى فضاء النص المعبر عن الذكريات باقتناص اللحظات الثمينة يتبع نهجا يكتمل في مساراته التدليل على أجواء الحياة الخاصة، عبر انفلات منحنيات يتوصَّف فيها جزيئات يومية هي إشارة حية تتبع اكتناز الداخل وتفسر ملامحه، يقول:

أمسيات يا لهـــا من أمسيات تركت في القلب أحلى الذكريات
كم أتيحت فرص الوصل بها وبهـــا نلـــنا ألـــــذّ الأُمنيات
يا ليـــيـــلات الهوى أحييتها بغزال تحـــت تلـك الأثـــلات
فـــإذا ما مرّت الذكرى على خاطري عادت إلى قلبي الحياة[٣٤]

وعند القول بالذكريات في فضاء نصوصه يمكن استخلاص انتماء الذات عبر حضور الأخرى إلى زمان يتجرّد في أبعاده البوح بانفتاح هاجس الحب في لحظات امتلاكه عبر اللقاء، يقول:

كم خلونا ساعة من زمن وتحققـــن لـنا مـــن أمنيات
لم يكن ثمّ رقيب حولنا يرهف السمع لأحلى الكلمات
فمـــكِ الدريّ ما أطيبـه عبـــق النكهة حلو النفحات[٣٥]

وتنطوي الذكرى في بعدها النصي عبر قصائد الديوان على حوار يستجيب لاهتمامات تنعطف بالأنا إلى صوت الذاكرة المتشبع بملامح تتوجه صوب الأحساس الذاتي، الذي يأخذ صورته من صياغة الشاعر لمفردات تفتح آفاقها على أوجه خاصة من عمر العلاقة

وتشكُّل القول بالذكريات ينحاز إلى عالم الماضي الفسيح عبر البعد الذي يختاره الأنا في منحنى خاص من عمر العلاقة مع المرأة، حيث يتبدى التوحد مع زمان الأُلفة بكامل بهجته، يقول:

ليـــالي كنت أقضيها ومن أهوى يناجيني
يعاطيني اللمى صرفا بـــــلا منّ فيرويني
وأُدنيـــــه بـــــلا قيـــد ولا شـــرط ويدنيني(٣٦)

واقتناص لحظات خاصة تعود بالأنا إلى مناخ خاص في هذه الموضوعة الشعرية وهو الدوران حول القول بالذكريات السعيدة عبر العلاقة مع المرأة تركز القول به وتكرر في القصائد: أُمسيات على الشاطئ، ذات الصليب، كفّ الملام، ذكرى، ليت هذا دام عام، فهل عادت كما كانت، توقى. التي كانت تتبنى في سياق خاص التعبير عن هواجسه عندما يستعيد ذكرياته السعيدة في الحب، كما يستلهم فيها خوفا كامنا من تشتت مفردات السعادة وذبولها، ((فالسعادة المكانية بمعنى السعادة التي يحققها جو مكاني ينشده الشاعر، لاتعدو كونها سعادة مؤقتة سرعان ما يذهب به الخوف من ضياعها كل مذهب، لأنه يخاطب المكان السعيد بلا وعيه المؤمن بالزوال المحتم)) (٣٧)، وفي هذا المدى تكون الإشارة إلى الذكرى إجابة عن سريان الزمن مع استقرار لحظاته النادرة في ذاكرة الأنا، حينما يترسم في جدرانها مفردات التواصل الحي لتجربته الخاصة مع المرأة الحبيبة زمان وصلها.

خاتمة:

قراءة الحب في ديوان (نفحات الخليج) لعبدالله سنان محمد تحيل إلى ترسُّم التأثير الذي تتركه المرأة في قلب الرجل، باعتبار النص ملمحاً يشفّ عن الداخل حينما يتنضَّد للبوح في مشروع البنية الكتابية لتوصيف الذات وما يعتريها من هواجس.

ويبدو نمط التصريح عن هواجس الذات عبر البوح بالحب جدلية تستثير القول بالتعريف بمسارات انفتاح الهاجس وعمق مدياته المترسمة هوية خاصة تنطوي على تأطرات تشهد جموح العاطفة وانفلاتها، في الوقت الذي يعطي النص في هذا المنحنى تفسيرا للعلائق المنشدّة عن هاجس الحب، بانتخاب طرق تتيح في فضاء النص عبر مدى الشعر الواسع المنفتح على ذاكرة الأنا المليئة بمساحات يتنضد بها هاجسه وتتحرك تداعياته.

ويتقيد النص للتوصيف بالحبيبة بملامح تؤشر رؤيا الأنا لجمال المرأة ومفرداته وما يفتحه في الداخل من مشاعر، عبر أُسلوب خاص في الكتابة الشعرية يحيل على القول بذات المرأة، التي تنمي عبر القول بها في مسارات نصوص خاصة منافذ تأخذ مهمة مميزة في التدليل على وجدان الرجل المحب، وما يختطه توصيفها في منحنياته من مشاعر تشف عن توق إلى تمظهرات زمن خاص يجمعه بها، بينما يبدو العتاب في نصوص الديوان جهرا لرؤيا تستلهم توصيف مواقف تلتزم التصريح بهواجسه لمعطيات اهتزاز العلاقة مع المرأة وتبعثرها.

ويتبنى القول بلحظات السعادة عبر الذكريات مديات تحيل إلى التأكيد على استرجاع تلك اللحظات عبر فضاء النص، الذي يلتزم في مسارات هذه الموضوعة احتضان مرتكزات لها قيمة عليا لدى الذات.

الهامش:

(١)الشعر الكويتي الحديث، عواطف خليفة العذبي الصباح، ٣٠٠. وينظر: الأدب المعاصر في الخليج العربي، عبدالله الطائي، ١ : ٣٣ .

(٢)نفحات الخليج، عبدالله سنان محمد، ٢٣٤ .

(٣)نفسه، ٢٢٠ .

(٤)نفسه، ٧١ .

(٥)نفسه، ١١٠ .

(٦)نفسه، ١٥٠ .

(٧)نفسه، ١١٠ .

(٨)نفسه، ١٣٠ .

(٩)نفسه، ١٣٣ .

(١٠) نفسه، ١٥٠ .

(١١) نفسه، ١٦٨ .

(١٢) نفسه، ٢٢٠ .

(١٣) ينظر: نفسه، ٤٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٥٤ ، ١٨٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤٩.

(١٤) تطور الشعر الحديث والمعاصر، د. عمر الدقاق، د. محمد نجيب التلاوي، د. مراد عبد الرحمن مبروك، ٢٢٩.

(١٥) نفحات الخليج، ١٧٥.

(١٦) نفسه، ١٠٩.

(١٧) نفسه، ٤٣، ٤٤.

(١٨) نفسه، ١٨٣.

(١٩) الخيال والإبداع، عبد الرحمان التليلي، ٩٨.

(٢٠) نفحات الخليج، ٢٤٩ .

(٢١) نفسه، ١١٢.

(٢٢) نفسه، ١٩٠.

(٢٣) نفسه، ٢٣٣.

(٢٤) نفسه، ٢٠١.

(٢٥) إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، ٦٣ .
(٢٦) نفحات الخليج، ١٨٣ .
(٢٧) نفسه، ١٣٠ .
(٢٨) نفسه، ١٧٤ .
(٢٩) خطاب اللامرئي في الشعر المعاصر، الأخضر بركة، ٨٧ .
(٣٠) نفحات الخليج، ١٥ .
(٣١) الاستهلال (فن البدايات في النص الأدبي)، ياسين النصير، ١٧٧ .
(٣٢) نفحات الخليج، ٢٦٠ .
(٣٣) جماليات المكان، جاستون باشلار، ٤٧ .
(٣٤) نفحات الخليج، ١٦ .
(٣٥) نفسه، ٤٤ .
(٣٦) نفسه، ١٧٤ .
(٣٧) نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، ٨٩ .

المصادر

- الأدب المعاصر في الخليج العربي، عبدالله محمد الطائي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤ .
- الاستهلال (فن البدايات في النص الأدبي)، ياسين النصير، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣ .
- إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦ .
- تطور الشعر الحديث والمعاصر، الدكتور عمر الدقاق، د.محمد نجيب التلاوي، د. مراد عبد الرحمن مبروك، دار الأوزاعي، ط١، ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.
- جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠ .
- خطاب اللامرئي في الشعر المعاصر، الأخضر بركة، مجلة عمان، ع١١٨، نيسان، ٢٠٠٥ ، تصدر عن أمانة عمان الكبرى.
- الخيال والإبداع، عبد الرحمان التليلي، الكراسات التونسية (مجلة العلوم الإنسانية)، عدد ١٧٨، الثلاثية الثالثة لسنة ١٩٩٧، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس.
- الشعر الكويتي الحديث، عواطف خليفة العذبي الصباح، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٣ .
- نفحات الخليج، عبدالله سنان محمد، ط١ ، ١٩٦٤ م، مطبعة حكومة الكويت.
- نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩.